مجلة ..... البهار .....
صادرة بتاريخ ..... ٢٠٠٤/١٠/٢٠ .....

الأوركسترا وقائدها هاروت فازليان لحظة التحية على مسرح الأونيسكو. (ساكو بيكاريان)

الأوركسترا السمفونية الوطنية في قصر الأونيسكو

ڤردي وباخ تحت عصا ڤازليان الناريّة

القائمة جديرة ببرامج الأوركسترات العالمية، مختارة وفق ما يليق بمستوى عزفي وقيادي راق يرضاه السمع المتطلب والالمام المثقف بالموسيقى الكلاسيكية.

ما كادت الأوركسترا السمفونية الوطنية اللبنانية تلتئم بعناصرها البشرية المطعمة والآلية الوفيرة حتى أبدعت ونشرت من حولها سمعة طيبة، تطيب نكهتها امسية تلو اخرى.

على المنصة قائد شاب، على طرف عصاه، وفي ذراعيه الممدودتين الى كل آلة عنفوان الموسيقى، ترشح من جمع روحه فيغدو اوركسترا، منها تتلقى الحمم الحارقة والهناء الزامي والصدمات الايقاعية.

هاروت فازليان لا يساوم. ما هو العاشق الولهان بالموسيقى يقف على المنصة وذاكرته تضج بالتوليفة وبتقاسيمها الدقيقة، جاهزا لإحيائها فرديا مع كل عازف كمان ونافخ مزمار وضارب إيقاع، وجميعهم معا.

"قوة القدر" لڤردي ترفعه الى العلى، فلا يبقى مسرح قصر الاونيسكو متسعا لرؤاه. ڤردي، وكذلك بروكوفييف الذي ختم بسمفونيته التاسعة تلك الليلة البديعة، يؤججان وتيرته فيغدو على المنصة إعصارا، في هبوبه اسهم نارية وشهب عجيبة.

ثمانون عازفا وعازفة بعدة الأوركسترات السمفونية الكاملة توزعوا في نظام هندسي قابل للتبديل مع كل مقطوعة وتوزيعها الآلي، وتراتبية تصنف الاقواس الاعتق خبرة في مقدمة المسرح. بيد ان من يرهف السمع الى ايصاله كل عازف حتى اقصى المسافة لا بد من أن يدرك سلوكا اكاديميا محسوسا في انسجام الاقواس. في حوار الطبول والايقاع، في الهمسات الناعمة بين هوبوا وفلوت.

ڤردي في "قوة القدر" ترنح نشوة والأوركسترا السمفونية تؤدي افتتاحيته الاوبرالية الجبارة تحت جناحي هاروت فازليان وذاك النسيج الدرامي البهي الذي ضفره بخيوطه الدقيقة، الملونة، إيماءات من القدر، ومن ذاكرته قرأ فكر ڤردي وكل حدث عابر في هذا العمل. فهاروت لم يلجأ في العملين السمفونيين الكبيرين في هذا البرنامج الى النص، لأنها مخمران في فكره وأحاسيسه الملتهبة، يشهدان على قيمة رجل مسرح حقيقي، يثير حب الجمهور للحلول الفائضة التي يرميها على الجمل الموسيقية مهما تعقدت.

مع باخ انحسرت الأوركسترا الى تشيللو منفرد ومن حوله الكمانات الرفيعة والجهيرة. لحظة انتقال حقيقية من "قوة القدر" المفعمة بالصدمات الانسانية، الى رحابة الروح. وعازف التشيللو رومان ستوروينكو، متزهدا على آلته، يلقم الوتر تلك المشاعر العميقة التي استطاع باخ ان يصفها في بنيوية حسابية دقيقة من غير ان تجف قطرة من ماويتها.

ثم نكتشف هاروت فازليان عاشقا ولهانا في "السمفونيا الجدلية" لكمان وڤيولا واوركسترا لموزار، حميما في المشاركة.

عازفان كانا منذ هنيهة ذائبين في جسم الأوركسترا فإذا بهما في لباس الاحتفالات الكبرى يتقدمان من مقدمة المسرح. تيميا تشييتينيس تشيليس على الڤيولا (كمان ألطو) وستيليان نيمتانو على الڤيولون (كمان رفيع)، في حوار عاشق وترغلات تدغدغ القلب وتناجيه. ويقود هذا الخطاب فازليان لا كقائد اوركسترا، بل كراقص في عناق، كطير يرفرف فوق العازفين، اصابعه ترتعش على نحو القلب كأنه يعزف كمانه. ولا يسهو بيده اليمنى عن سائر الآلات، يحضنها، يسرق العبارات بلمحة حسّ.

السمفونية التاسعة لبروكوفييف هي الختام بتناقضاتها وينابيعها المتعددة اللون، حيث تندمج الليريكية في قران عفوي مع النكهة الغريبة. والسمفونية كتبها بروكوفييف بتأثير من العالم الجديد عام ١٨٩٣ خلال إقامته النيويوركية. شهادة مكتوبة بتقليد تراثي روسي عميق ممزوج بفن الاكتشاف الحديث، عبّرت عنها الاوركسترا باتجاهاتها الثنائية وجماليتها، يؤجج قائدها قريحتها في تفاعله الدينامي والليريكي، العاصف والهادئ مع مفاصل الميلوديا وتواتراتها الكونية.

وهدية الاوركسترا في ختام الامسية "حكايات هوفمان" لأوفنباخ" اطلقها هاروت فازليان شهبا من الفرح، يحركها بجسده ويديه وحلمه في ثقة الملم بطرب الأعياد وافراحها.

مي منسى